**دروس أنثروبولوجيا الريف والمدينة**

**لفائدة طلبة السنة الثالثة ليسانس، تخصص: أنثروبولوجيا**

**الأستاذ: بوحسون العربي**

**الإرسال الثاني:**

**المحاضرة التاسعة**

**-نظريات المجتمع الريفي:( نظريات المداخل)**

**خصائص المجتمع الريفي عن الحضري:**

يميل الباحثون في العلوم الاجتماعية بشكل عام وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا بشكل خاص إلى تحديد الخصائص المحددة للأنماط المجتمعية من تسهيل تناولها ودراستها وإعطائها الصبغة العلمية، ومن بين هذه الأنماط تقسم المجتمعات إلى مجتمعين ريفي وحضري.

حيث يربط علماء الاجتماع عند تحديديهم لسمات المجتمع الريفي بين تلك السمات وما يقابلها من سمات وخصائص تميز المجتمعات الحضرية. أو كما يقال " من ضدها تعرف الأشياء"

و فيما يلي: نقدم بعض النظريات التي تحدد المجتمعات الريفية من خلال الفروقات الريفية الحضرية، وهي عبارة عن مداخل تفسيرية وتعريفية للمجتمعين الريفي والحضري، مع ذكر بعض الانتقادات التي وجهت لهذه المداخل والنظريات.

**أولا: مدخل الثنائيات:**

**1-ابن خلدون(1332-1406):**

يعتبر ابن خلدون أول من لفت الأنظار إلى الفرق الحضر والريف.

حيث رأى أن الريف يكون بضواحي المدينة ، بينما الحضر يكون بضواحي الأمصار والقرى والمدن. وقال أن اختصاص الريف والبدو بالزراعة والرعي ، وهو أمر ضروري لهم، في حين أن الصناعة هي من اختصاص أهل الحضر. وبذلك اعتبر كل من الريف والحضر مجتمعان متكاملان هما اللذان يكونان المجتمع العام.(ابن خلدون، المقدمة، ص210)

لقد أشار ابن خلدون إلى مصطلح"الأمصار"،وهي المدن الكبرى التي توجد فيها المرافق العامة والمدارس والمستشفيات والأسواق، مثل بلاد مصر.لكن هناك من يفسر "الأمصار" جمع "المصر" وهو الحد /جمعه: الحدود ، كأن تقول المنزل المحدود بمصوره أي بحدوده. أو تقول: اشترى الرجل المنزل بأمصاره، أي بحدوده في جميع الجهات الأربعة.

**2-هربرت سبنسر 1903-1820 -)) H.Spencer**

يرى سبنسر أن المجتمع الريفي هو مجتمع زراعي يتميز بالبساطة وعدم التعقيد، حيث لا يتأثر بالتأثيرات الخارجية، حتى وإن تأثر فدرجة التأثير تكون ضعيفة.( عبد الحميد بوقصاصة، ب/ت، ص21)

**3- إيميل دوركايم:**

أما العالم الفرنسي إيميل دوركايم، فيرى أن المجتمع الريفي يتميز بالبساطة في الحياة والبساطة في الإنتاج، والمهنة التي يمارسها تنحصر في الزراعة والرعي التي تتميز بضآلة التخصص وتقسيم العمل، كما أنه مجتمع يفتقر إلى العناصر التكنولوجية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، وتسوده علاقات العرف وقواعد تقاليد الجماعة، وهي المهيمنة في المجتمع.

**4- فرديناند تونيز الألماني (Ferdinand Toennies)**

قدم هذا العالم نموذجين في الدراسات الحضرية والريفية، وهما المجتمع المحلي الصغير وسماها المجتمع الريفي، والمجتمع الكبير وسماه المجتمع الحضري. حيث حصر النمط الاقتصادي للمجتمع الريفي في الزراعة، بينما نمط المجتمعات الحضرية قائم على التجارة.

وقال أن الاختلاف بين المجتمعين يكمن في أن أحدهما يتسم بالطابع العائلي، أي المجتمع الريفي، بينما الآخر يتسم بالطابع الرسمي والعقائدي وهو المجتمع الحضري.

**ملاحظة:**

لقد تلقى نموذج الثنائيات انتقادات من طرف دارسي علم الاجتماع الحضري، أهمها أن هذا النموذج لا يمثل سوى وسيلة مبدئية يصعب الاعتماد عليها بصفة كلية في التمييز بين الريف والحضر. لأن هذا المدخل يغفل عاملا هاما في تشكيل هذه المجتمعات.

**ثانيا: مدخل استخدام المحك الواحد:**

يعتمد هذا المدخل على المعيار الواحد في التمييز بين المجتمع الريفي والمجتمع الحضري، وأبرز ذلك ينحصر في الحجم السكاني، ومن ثم ينظر إلى التحضر على أن مصدر هو التركيز السكاني.

**الانتقاد:**

لم يسلم أيضا هذا النموذج من الانتقادات، لأن أصحاب هذا المحك كثير ما نوا يستعينون بعوامل أخرى للتمييز بين المجتمعين ، لأن مقياس الكم غير كاف خاصة بالنسبة للمجتمعات التي تتواجد فيها فئات سكانية عالية قد تتجاوز 5 آلاف إلى 10 آلاف نسمة.

حيث أن القرية بهذا الحجم في افريقيا مثلا تختلف اختلافا بينا عن القرية في أوروبا وأمريكا بالرغم من الحجم الواحد لكليهما. ومن ثم فإن التمركز السكاني لا يصلح للتمييز بين الريف والحضر وإلا لكانت مدن العالم الثالث أكثر مدنية وتحضرا مثال على ذلك مدينة القاهرة(مصر). (رشيد زوزو، 2008 ،ص 55)

**ثالثا: استخدام المحكات المتعددة في التمييز بين الريف والحضر:**

يأخذ بهذا المعيار العلماء لويس وارث وريمون فيرث وزيمرمان وسوروكين، ولعل أبرزهم العالم ريد فيلد الذي وضع تصنيفات للتمييز بين الريف والحضر، تتمثل في مجموعة العوامل أهمها:

-حجم سكان المجتمع المحلي.

-الكثافة السكانية.

-تقسيم العمل

-التدرج الطبقي والتمايز الاجتماعي.

-الانتقال المكاني.

-البيئة.

-نظم العلاقات والتفاعل الاجتماعي.

واعتبر المعيار الأساسي للتمييز بين المجتمعين هو الزراعة وما يحيط بها أي الانتاج الزراعي، والنباتي والحيواني، وجمع الثمار والرعي وحفر الأرض.(السيد رشاد غنيم، 2008، ص62)

**رابعا: المتصل الريفي الحضري:**

تستند هذه الفكرة من الناحية النظرية إلى افتراضيين أساسيين هما:

الأول: هو أن المجتمعات المحلية تتدرج بشكل مستمر ومنتظم من الريفية إلى الحضرية، وفقا لعدد من الخصائص أهمها:

1-ازدياد حجم المجتمع بشريا وعمرانيا.

2-أن هذا التدرج يصاحبه بالضرورة اختلافات في أنماط السلوك والتصرف.

**-صعوبات في دراسة المجتمع الريفي:**

من خلال الأبحاث والدراسات لهذا المجتمع برزت عدة صعوبات لدى الباحثين، أهمها:

1-صعوبة تعميم بعض المفاهيم المرتبطة بالمجتمع الريفي على كل المجتمعات، مثل بدوي، قروي، ريفي. ويرجع هذا لاختلاف مقاييس تعريف المجتمع الريفي من بلد إلى آخر حسب ظروف تكونها وتشكلها التاريخي(المجتمع الأوروبي، المجتمع العربي، العالم النامي...)

2-عدم اتفاق العلماء على مناهج ومقاييس علمية موحدة لتعريف ودراسة المجتمع الريفيبين الأوروبيين أنفسهم ما بالك بين الغرب والعالم الآخر.

3-النموذج الريفي مفهوم معقد يصعب إدراكه، رغمما يبدو عليه من بساطة، ولكن في حقيقة الأمر هو الأكثر تعقيدا من حيث بناءه ووظيفته(مثل تعقيد المجتمع البدائي في نظر ك.ليفي ستروس).

4-المصالح المادية لا تحتل المكانة الأولى في المجتمعات الريفية، ولكنها ليست معدومة، بل توضع في المرتبة الثانية بعد نمط وسلوك الإنسان الريفي، وكيفية تشكيل معتقداته وتصوراته وتعاملاته مع الآخر. وهي عبارة عن خبايا وأسرار تزيد من تعقيد الدراسة.(نموذج التبادل الاقتصادي مبني على المكانة الاجتماعية التي يحققها الأفراد من الهدايا والعطاءات التي يقدمونها في المناسبات، مثل ظاهرة البوتلاتش.

5-صعوبة تخلص الفرد الريفي من تمثلاته ومخياله البيئي(البادية-الريف) بمجرد تغيير المكان أو الهجرة إلى منطقة حضرية. عندما يهاجر ليعيش باقي حياته في المدينة لا يتغير في سلوكه وطبائعه، يبقى بدوي/ريفي مهما لبس لباس الحداثة، مثل المهاجرين الجزائريين في فرنسا حافظ الكثير منهم على ريفيته، وقد ظلوا أوفياء للكلمات والطقوس التي تعلموها في صغرهم ومتمسكين بها بالرغم من مرور سنوات على هجرتهم للبلدان المتقدمة.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

**المحاضرة العاشرة**

**القسم الثاني: أنثروبولوجيا المدينة(الحضر):**

- تتطلب هذه الدراسة الأنثروبولوجية التذكير بتاريخ المدن ومورفولوجيتها ووظائفها.

**1-من حيث التاريخ:**

تعود أولى مظاهر التحضر في العالم إلى أكثر من 6آلاف سنة، في المشرق العربي وفي الألف الرابعة ق.م ظهرت المدينة في مصر وبلاد الشام، وما بين النهرين وكانت مزدهرة بسبب تقدم العلوم والمعرف الإنسانية والاختراعات، والصناعات (استخدام المعادن والعجلة والمحراث، صناعة الفخار) ساعد ذلك على تلبية الحاجات الإنسانية. ثم برزت بعد الفتوحات الإسلامية مدن وقلاع وحصون ومواقع عسكرية للجيوش،وقد ساعدتها عدة عوامل على النمو والازدهار كتوفر وسائل العيش من إنتاج زراعي وصناعي وتجاري حتى زادت عوامل الاستقرار بتوفر هذه العوامل. أما في الغرب فقد فقد برزت عوامل التحضر مند الألف الأولى ق.م، ومند ق8، و7 ق.م بدأت تنتشر ظاهرة المدينة وبرزت المدن اليونانية كنماذج في أوربا. **(**فتحي أبو عيانة، التحضر في العالم، نظرة في النشأة والتطور، ندوة السكان والتنمية في منطقة غرب آسيا، 1978). أما في العصر الحديث فقد تطورت المدن وازدهرت بفضل نتائج الثورة الصناعية التي أدت إلى تطور التقنية والمصانع في شتى القطاعات مما فسح المجال لنزوح كبير من عمال المزارع والأرياف نحو المدن الصناعية الكبرى.

تعد المدينة خلاصة تاريخ الحياة الحضرية، فهي الكائن الحي كما عرفها لوكوربزيه، فهي الناس والمواصلات وهي التجارة والاقتصاد، والفن والعمارة، والصلات والعواطف، والحكومة والسياسة، والثقافة والذوق، وهي أصدق تعبير لانعكاس ثقافة الشعوب وتطور الأمم، وهي صورة لكفاح الإنسان وانتصاراته وهزائمه، وهي صورة للقوة والفقر والحرمان والضعف، وللمدينة ذاكرة مجسمة تغوص في المستقبل مثلما تغوص في الماضي رغم أنها دائماً تعبر عن الواقع الحاضر.

**2-من حيث المورفولوجيا:**

مورفولوجيا المدينة: هي المعرفة التي تبحث في الحيز الذي تشغله المدينة ونظام مبانيها وتخطيطها وأساس ذلك التخطيط وهذه الطريقة تساعد على معرفة أصل المدينة وتطويرها ووظائفها وترتيبها الداخلي، حيث ضمن هذه الطريقة تدرس استعمالات الأرض في المدينة والعوامل التي أدت إلى توزيعها بالطريقة التي هي عليها وعلاقاتها المتبادلة وما ترتب عليها من نتائج. تعتمد مورفولوجية المدينة على الملاحظة المباشرة، فالمدينة تختلف في مظهرها البنائي وشكل شوارعها والميادين وحركة المواصلات، لذلك يمكن التعرف على الشخصية المحلية العمرانية عن طريق الواقع والمظهر العام، والشكل هو الناتج النهائي لتفاعل عناصر عديدة داخل المحلة العمرانية، فوجود منطقة مركزية تتركز فيها الحياة والنشاط، تعتبر نواة المدينة ممثلة في المنطقة المركزية(C.B.D)، وعادة يكون في المدينة ساحات وميادين، وتكون المباني مرتفعة .

تمر المدينة من حيث التطور التاريخي بمراحل في نموها وكبر حجمها، لقد اشار لويس ممفورد إلى هذه المراحل، وهي: مرحلة النشأة، مرحلة المدينة الكبيرة، مرحلة المدينة العظمى، مرحلة المدينة التيرانوبوليس، مرحلة المدينة النيكروبوليس. (حسين عبد الحميد رشوان، المدينة: دراسة في علم الاجتماع الحضري، ط6، المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية، 1998، ص115.)

**3-من حيث الوظائف:**

تقوم المدينة بأداء أدوار ووظائف مختلفة ومتعددة الجوانب وفقاً لطبيعة وظروف نشأتها وتطورها وتنمو كلما اختلفت الوظائف التي تؤديها المدينة، وتتجلى الوظيفة في تحديد الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمدينة وتؤثر في إقليمها وتنشأ المدينة بالوسائل التالية:

-النمو الطبيعي وتختلف الأنشطة التي تقدمها المدينة لإقليمها فإذا كبرت القرية ووصلت إلى حجم معين تتحول إلى مدينة فتعتبر هي لحظة الميلاد، وإذا اختلفت وتنوعت وظائفها أشار ذلك إلى نموها

-المدن التي تنشأ بسبب قرار سياسي أو إداري مثل مدن العواصم، وتقوم بتقديم مختلف الخدمات على مستوى الدولة وتتصف بتنوع الوظائف وتعددها(حمدان، جمال، ط2، ، ص1977 )

-التجمعات الحضرية وظيفتها تقديم الخدمات إلى التجمعات المجاورة والمحيطة، وهي تحتل حيزاً متوسطاً وتقوم بتقديم الخدمات بسهولة للتجمعات الحضرية المحيطة

-مدن حضرية تقع على طرق المواصلات الرئيسية وتكون وظيفتها ربط العالم الخارجي أي أن خدماتها تصل أو تتعدى دول خارج نطاق الدولة.

-المدن الحضرية التي تقع على مورد طبيعي والتي تجذب إليه الناس وهي ذات قيمة اقتصادية كبيرة مثل مدن البترول والمعادن.( إياد جميل أحمد صالح، 2009).

**-درجة الاهتمام بأنثروبولوجيا المدينة:**

يعد اهتمام الأنثروبولوجيون بالمدن ضعيف، من جهة وحديث من جهة أخرى إذا ما قارناه مع اهتمامهم بالريف والقرية. على سبيل الذكر الأنثروبولوجيا الحضارية في المغرب شبه غائبة، بينما أبحاثهم التي خصصوها لدراسة الريف والقرية هي واضحة وغزيرة. وتفطنهم لهذا الغياب جعلهم يشجعون طلبة الدكتوراه في الوقت الحالي على التوجه إلى دراسة هذا الفضاء المهم والاهتمام به لأنه يكون الفضاء المقابل للريف، للاستفادة منه لزيادة التعمق في فهم تطورات المجتمع المغربي. **(أبو بكر أحمد باقادر وحسن رشيق(2012)**

يوجد قليل من الاهتمامات والدراسات للمدينة التي بدأت قبل الحرب العالمية الثانية، هذا بالرغم من بروز اتفاق بين العديد من الأنثروبولوجيين على أن المدن هي أماكن بحث هامة، وأن علم الأنثروبولوجيا قادر على تقديم مساهمات منهجية ونظرية لدراسة الأماكن الحضرية.

لقد أشار رد فيلد في كتابه " فولكلور يوكاتان yucalpeten (1941) وهي شبه جزيرة تقع بالمكسيك، إلى أن المدن هي تجمعات شعبية فولكلورية تطورت إلى مجتمعات حضرية. تغيرت من مجتمعات صغيرة منطوية على نفسها(منعزلة ومتجانسة) إلى مجتمعات حضارية متباينة(يسودها اللاتجانس والتعقيد).

واعتبر المدن الصناعية طرازا للحضرية العالمية، حيث ميز بين المدن الصناعية الرأسمالية(أي ذات التراكم الرأسمالي والأسواق العملاقة والتجارة)، والمدن ما قبل الصناعية، أي ما قبل الرأسمالية(تعيش في تخلف / في مرحلة انتقالية بين التقليد والتصنيع).

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــ**

**المحاضرة الحادية عشرة**

**-نظريات المدينة(الحضر) عند العلماء:**

**1-علماء الغرب:**

وجد علماء الغرب(من الأوروبيين والأمريكيين) صعوبة كبيرة في تعريف المدينة، ولم يقع أي اتفاق بينهم بسبب أن لكل واحد تصوره ونظرته التي يجب أن تكون عليها المدينة ومواصفاتها وموقعها الجغرافي.

من بين النظرات التي وجدت يرى أصحابها أن المدينة هي "ذلك المكان الذي يعمل غالب سكانه داخل حدوده، أما القرية هي المكان الذي يعمل غالبية سكانها خارج حدودها"

هذا التعريف يؤكد لنا الاختلاف بين الريف والمدينة انطلاقا من مقياس "العمل" ومكان ممارسته. بينما هناك عدة عوامل ومقاييس تم اعتمادها من طرف هؤلاء العلماء ومن أهمها:

-عدد السكان

-المعيار التاريخي للمدينة ودورها الحضاري

-القانون الإداري (التقسيم الإداري والإقليمي-بلدية-دائرة)

-المظهر الخارجي(البنايات وأشكالها: العمارات، الفيلات، الأحياء، والبيوت المستقلة ذات طوابق، من المملوكة والمستأجرة/مقابل المنازل العادية البسيطة، المحدودة وقليلة الطبقات والمنعدمة، وندرة المنازل المؤجرة أو غيابها،في الريف والقرية)

-طريقة حياة الأفراد(نظام معيشتهم: عملهم، تنقلاتهم، ملبسهم، غذاءهم، لعب أطفالهم....)

**تعريف المدينة:**

للتمييز بين القرية والمدينة اعتمد بعض العلماء على عدة أسس من أهمها:

-الأساس الإحصائي للسكان:

يعتمد هذا الأساس على إثنين من المتغيرات السكانية، أحدهما يرتبط بالحجم، ويرتبط ثانيهما بالكثافة. فيما يتعلق بالحجم، يختلف من قطر لآخر، أي بعض الباحثين حدد عدد من السكان يصبح فيه المركز العمراني عنده، أو بعده مدينة، ولكن هذا العدد يختلف من دولة لأخرى. في الدانمارك 250 نسمة، مصر 10000ن، في امريكا 2500ن في اليابان 30000ن، في كوريا 40000ن، بينما نجد المدينة في تركيا 2000ن.

أما من حيث الكثافة فلا تعتبر أساسا أفضل للتمييز بين القرية والمدينة، فقد قام الباحث w.f.willcox بدراسة إحدى المقاطعات في أمريكا ووضع مقياسا كثافيا لتحديد المدن.

من صفر-100ن/الميل2 للريف

من 101-1000ن/الميل2 للقرى

من1001ن فأكثر/الميل2 للمدن.

(علي سالم الشواورة، جغرافية المدن، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2012، ص59)

-من أهم علماء الغرب الذين أسهموا في تعريف المدينة:

**-تعريف رالف لينتون(1893-1953)/R.Linton:**

هو أنثروبولوجي أمريكي صاحب كتاب"الأنثروبولوجيا وأزمة العالم الحديث(1967)، وهو تلميذ الأنثروبولوجي فرانس بواسF.Boas. بالنسبة إليه مفهوم المدينة يشير إلى مجموعة من الناس تعيش على مبادلة المنتجات المصنوعة والخدمات اللازمة للحصول على الطعام، والمواد الخام(النقل). حيث تبرز شبكة من العلاقات بسبب تطور المبادلات.

والمدينة ليس لها حد معين من السكان، وكثيرا ما تتطور القرية إلى المدينة في خطوات لا يشعر بها أحد. ( محمد أحمد غنيم، المدينة، 1987، ص129.)

(مثل: القرى التي زاد عدد سكانها بسبب الهجرة إليها، وفرض هذا الوضع زيادة في البنايات والمدارس والمتوسطات والثانويات، والمستشفيات، ثم مراكز الشرطة لمحاربة الجريمة وتنظيم الحياة، والمحاكم... مثل ما حدث لبعض القرى الجزائرية التي تحولت إلى شبه مدن أثناء العشرية السوداء(1990-2000).

**-تعريف لويس ويرث/ Louis wirth:**

اختلف مع غيره ولم يتقيد بتعريف المدينة كمكان للحضرية، وقام بتوسيع مفهومها. فهو ينظر إلى المدينة ليس على أساس المكان الذي يعمل فيه الإنسان أو يقطنه، بل ركز على جوانب عديدة من النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وقال، المدينة: هي التي تولد السلوك الجديد وأساليب التعامل الجديدة في عدة مستويات:

-على مستوى السوق بكل أبعاده(الحركية والنشاط التجاري)

-على المستوى السياسي(الانتخابات، والمشاركات)

-على المستوى الثقافي(الفنون، والعلوم، واللغات، والحرف...)

على المستوى الإداري(التنظيم)

ويضيف: عندما تصبح المدينة توفر حياة أفضل للناس تصبح مركز إشعاع حضاري، وبالتالي تصبح تلفت انتباه سكان الريف والقرى الذين يطمحون إلى الوصول إليها لتغيير أنماط حياتهم. لأن القرية لم تعد تستجيب لشروط الحياة. هذا ما يؤدي إلى فتح الباب للنزوح والهجرة من الريف إلى المدن.

إذن: الحضرية تفرض نفسها من منطلق المعطيات والشروط الجديدة للحياة.

وبناء على هذا وضع لويس وارث بعض الخصائص والسمات التي تكمل نظريته، من أهمها:

-التضخم النسبي لحجم المدينة يفرض تنوع الأفراد.

-إحلال الضبط الاجتماعي(القانون) محل العرف(القرية)

-تغير طابع العلاقات الاجتماعية من العلاقات النزيهة والقوية(القرية) إلى العلاقات السطحية والباردة(المدينة).

-تقسيم العمل والتخصص، يؤدي إلى التمايز بين الأفراد كل حسب مهنته(أي أن هوية الأفراد تصبح تحدد بواسطة مهنهم)

-سطحية الاتصالات(التقليل من قيمة المواعيد)، بينما في القرية الرجل يعرف بالكلمة أي احترامه للعهود والمواعيد.

-ارتفاع قيمة الأرض للبناء، شراء قطعة أرض للبناء يكلف عدة أضعاف القيمة عما سواها في القرية.(ظهور ريع الأرض أثناء مرحلة الإرهاب في الجزائر بسبب نزوح الأفراد إلى المدن)

-التناقض الحاد بين جماعات العمل لعدم وجود رابطة عاطفية وتبادل شفاف(بدون خلفيات مسبقة)

-ازدياد إيقاع الحياة(الحركية والنشاط في المدينة)

-الاعتماد على وسائل الأمن لتنظيم الحياة(الشرطة، الدرك، الحماية المدنية...)

-عدم وضوح التمايز الطبقي(فقير/غني، مثقف/غير مثقف....)

-انتماءات مختلفة لسكان المدينة(جهوية، تراتبية، دينية، سياسية، علمية...) (بوقصاصة، ص136-137)

**ولكن كملاحظة أنثروبولوجية:**

-أغلب الأسر المتجاورة في بعض المدن الجزائرية دون الحديث عن القرى تربطها صلة القرابة أو تعود لنفس العائلة،(بطن، فخد، علاقة صهر) وهذا ما يدل على الطابع العشائري للمدينة، وعلى طبيعة التركيبة السكانية والاجتماعية للمدينة الجزائرية، والتي لم تستوعب الغرباء عن أصولها التاريخية والثقافية بعد، كباقي المدن إما المدن العربية الكبيرة/ أو الأجنبية.

**2-العلماء العرب:**

اعتبروا الفلاحة والزراعة من خصائص التحضر، والنمو في المجتمع الإنساني، وقالوا أن الفلاحة هي العمران، وهذا قول ابن عبدون (بوقصاصة، ص 101). ويعني هنا بالفلاحة، الزراعة المنظمة(المصنعة)، وكذلك البستنة والحدائق، وهذا ما نلاحظه في المدن الكبرى إلى اليوم.

وقد اختلفوا فيما بينهم في تحديد مفهوم الحضر، وخاصة مع العلامة ابن خلدون الذي اعتبر طور البداوة سابق على طور الحضارة(أي الحضر والمدن)، بحيث رأى أن كل مجتمع يختلف عن الآخر، أي الريف يختلف عن المدينة.

يختلف ابن خلدون عن بعض العرب، حينما يرجع مسألة الحضر(المدينة) إلى اشتقاقها اللغوي(الحاضرين)، أي المستقرين في المكان بصورة دائمة لكنهم لا يمتهنون الزراعة إلا نادرا(قليلا)

وقد رأى أن التغير من الريف إلى المدينة لا يأتي فجأة، وإنما هناك بعض الشروط لا بد من توافرها(وهي المقدمات)، أهمها:

1-النمط الاقتصادي الجديد يصبح قادرا على إشباع حاجات السكان مما يدفعهم إلى الاستقرار، وهذا بدوره يؤدي إلى التغيير في نمط الحياة على مستوى الفرد والجماعة.

ومعنى ذلك أن النمط الاقتصادي الريفي(القديم) يعتمد على الاقتصاد الطبيعي، البسيط الذي يتطلب الترحال والتنقل الموسمي بحثا عن مصادر العيش. في حين أن في حالة سيادة النمط الاقتصادي الجديد كل مصادر العيش متمركزة في الأسواق والمحلات الموجودة داخل المدن، وتصنع في مراكز محدد ومستقرة.

عندما يأتي هذا النمط الاقتصادي الجديد تتحول بعض المفاهيم المرتبطة بالحياة الاقتصادية إلى مفاهيم جديدة، مثل مفهوم السوق، والسلع السوقية، التجارة، الصناعة، المهن والحرف. وبالتالي تؤدي إلى تنظيم العلاقة بين الفرد والمجتمع وفق سلم من التنظيمات والقوانين، وتصبح تتحكم في نظام الحياة العامة نتيجة لانتقال المجتمع من البسيط إلى المعقد.

2- الاستقرار في المكان(المدينة) يؤدي إلى نمو عدة ظواهر جديدة من بينها التفنن في شروط الحياة،(كالتفنن في المأكل والملبس والمسكن والسيارة، أي الانتقال إلى الكماليات في الحياة)، ظهور العلوم والمفكرين، وظهور عوامل التحكم والسيطرة على الحياة.(هذه العوامل تكمن فيما توفره بيئة المدينة للأفراد من تسهيلات في الحياة كالتعليم، الصحة، النقل، خدمات الترفيه للأطفال(الملاعب والحدائق)، النوادي الفكرية، وسائل الاتصال...إلخ.

3-ميل مجتمع المدينة إلى التركيز على ملذات الحياة، والتباهي بالمظاهر(الألبسة والسيارات والتكنولوجيا) من أجل إظهار التفاوت والاختلاف الاجتماعي والاقتصادي مع مجتمع الريف. هذا التباهي بشروط الحياة الجديدة ينتج قيم جديدة تحكم سلوك الأفراد وتوجههم وممارساتهم.

وهذه المحاولة في إظهار التفاوت والاختلاف، كنا نلاحظها وإلى اليوم لدى المهاجرين والمغتربين عندما يعودون أثناء العطل الصيفية إلى بلادهم محاولين أظهار أنواع مختلفة من الألبسة أو وسائل الاتصال أو السيارات يعبرون من خلالها عن درجة اختلافهم أو تقدمهم عن أقرانهم من عائلاتهم المقيمين داخل الوطن.

يقول ابن خلدون:" اعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم، إنما هو باختلاف نحلتهم في المعاش" أي باختلاف إمكانياتهم المادية ونمط عيشهم.

نستطيع أن نميز بعض عناصر الاختلاف التي توجد لدى الحضر دون الريفيين فيما يلي:

-العلاقات الرسمية(النفعية)

-التنافس والصراع من أجل الرقي بظروف الحياة الأسرية بالأخص.

-تقديم الكماليات والتباهي بها والسعي وراء تحقيقها بكل الوسائل.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

**المحاضرة الثانية عشرة**

**-اتجاهات دراسة المدينة:**

يمكن تحديد ثلاثة اتجاهات رئيسية:

**-الاتجاه الأنثروبولوجي:**

العديد من الدراسات الحضرية التي وظفت المناهج والمداخل الأنثروبولوجية لدراسة المدينة تعتبرها مجتمعا محليا، ذو مميزات وخصائص تميزها عن المجتمعات الريفية والقبلية، وتتمثل في المكونات البنائية التالية:

-البناء الاقتصادي يرتكز على الصناعة والمشاريع الاستثمارية والتجارية والخدمات. (طغيان البناء المادي والنشاطي)

-تعدد الجانب الوظيفي في المجتمع الحضري(يوجد في المدينة: شرطة، معلمون، أطباء، سائقون، حرفيون، مرشدون سياحيون... )، أما في القرية: يهيمن الطابع الفلاحي على العمل نجد (مزارعون، مربيو الماشية، صيادون.....).

-تميز الحضر(أهل المدينة) بنوع من الاستقلالية النسبية من حيث الإنتاج والسلع والخدمات، وهذا عكس أهل القرية، حيث الفرد يشكل وحدة عمل غير مستقلة عن العائلة الممتدة.

-تميز المدينة بالجانب الفكري نتيجة لتوفر وسائل تساعد على نشاط الفكر(الاتصال، الإعلام، الطباعة، النوادي والمكتبات....)

-تنوع في العلاقات الاجتماعية في المدينة يتيح حرية أكثر للأفراد في الفكر والسلوك والمنافسة، مما يجعل العلاقات الأسرية والمهنية تقوم على الحرية والمنفعة والسطحية.

النقد: لكن هذا لا يعني أن سكان المدن مفككون ومنعزلون، بل هم متكاملون في أداء أدوارهم الوظيفية والاجتماعية والمهنية والعائلية، بالرغم من مظاهر عدم التجانس والاختلاف بين الأفراد.

**-الاتجاه الثقافي السوسيولوجي:**

اهتم به العالم فيشر Cloud.S.Fisher الذي انتقد نظرية لويس وارث في تشكل مفهوم الحضرية على أساس العوامل الايكولوجية(البيئة)، مثل الكثافة السكانية، والحجم، والهجرة. وهذه العوامل تعتمد على البعد الكمي في التحليل.

لكن فيشر لم يهمل هذه العوامل، بل ركز أيضا على الجوانب الثقافية الفرعية لاعتقاده أن التجمع السكاني ينتج تنوعا في الثقافات الفرعية. حيث يشرح مفهوم الحضرية بالفروق الثقافية والسلوكية الناتجة عن إقامة التجمعات المحلية، وقد استطاع أن يدرس الفروق الثقافية من خلال تركيزه على الاختلافات العمرية والتكوين العرقي(الإثني)، والمستويات الثقافية(العلمي)، حيث تعتبر هذه العوامل حسبه أكثر نفوذا في فهم الحضرية من العوامل الايكولوجية (الاقتصادية والسياسية).

**-الاتجاه التكنولوجي:**

يربط هذا الاتجاه التحضر بالتصنيع والتكنولوجيا، بمعنى التكنولوجيا متغير مستقل يوثر في المتغير التابع وهو التحضر والتمدن.

إن تأثير التكنولوجيا واضح في تغير المجتمعات، وهذه نظرة الغرب الصناعي الذي يرى أن التصنيع أحدث تغيرات ليس على مستوى الجماعة والأفراد بل حتى على مستوى القوانين وقواعد التنظيم الجديدة(في التعليم والصحة، والحياة الثقافية والدينية والأسرية، وتغيير الوظائف والأدوار...). وكل هذه المجالات تتغير بفضل التكنولوجيا لكي تتواءم مع الظروف الحضرية الجدية.

كما أدت التكنولوجيا إلى تغيير في المواقف، والسلوكيات والقيم (مثلما عوضت الزيارات العائلية بالاتصال بواسطة الهاتف).

-هناك بعض نماذج التحضر في أوروبا لم تفرض عليهم الوجود والعيش في المدن، فقد تجد نمط حياة متحضر في الريف يتضمن خدمات التعليم والصحة، وسكنات راقية فيلات، سيارات فخمة، خدمات اتصال، نظام استهلاكي متحضر...)

مثل هذه الظروف لازالت البلدان العربية وكثير من بلدان العالم الثالث لم تشهدها، و لازال السكان ينظرون إلى المدينة كمركز للتحضر والرقي. مما جعل الكثير منهم يهجر إليها، وفي اعتقاده أن التحضر هو الجانب المادي، فتسببوا في إنتاج نماذج للتخلف عن طريق التوسع في البناء الفوضوي والبيوت القصديرية وهذه الصور البيئية السيئة أنتجت الأفكار والظواهر السيئة والسلبية، مثل البطالة ، الإجرام، والفقر، وكل الآفات السلبية.

وفي هذا السياق يشيد مالك بن نبي بجمال البيئة الريفية، حيث يرى أن جمالها يكمن في بساطتها ونظافتها وغياب التلوث والضجيج، وأدى هذا إلى إنتاج قيم وعادات بسيطة اقترنت بالأخلاق والاحترام وطيب العلاقات. بينما تلوث البيئة في المدينة وتعقدها وغياب نظافة شوارعها وكثرة الضجيج قد أدى إلى إنتاج قيم وطبائع معقدة تتعارض مع القيم الجمالية والأخلاقية، فكثر العنف والانحراف والفساد. حيث يضيف في تحليله أنه لا يمكن للصور القبيحة أن توحي بالخيال الجميل، والمجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة لا بد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره وأعماله ومساعيه. (مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عمر كمال مسقاوي، عبد الصبور شاهين، ط3، دار الفكر، 1969، ص138).